

حَيْصَ بَيْصَ

تر.أ.د.دلال عبّاس

حَيْصَ بَيْصَ، لقب الأمير سعد بن محمّد بن سعد الصّيفيّ التميميّ، الشاعر، الأديب، الفقيه والعالم الشيعيّ في القرن السادس الهجريّ. ذُكِرَ أنّ كُنْيته أبو الفوارس ولَقَبه شهاب الدين، وقد مُنِحَ لقبَ الأمير صلّةً من السلطان سنجر السلجوقيّ في سرخس لشعر مدحه به (← حَيْصَ بَيْصَ، مج1، ص228-231؛ أيضًا ← م.ن، مج1، مقدّمة مكي السيّد جاسم وشاكر هادي شكر، ص35). كان لقبه الآخر ملك الشعراء (ابن العديم، مج9، ص4269). كان جدّه لأبيه يسكن منطقة الكرخ في بغداد، ووُلِدَ حَيْصَ بَيْصَ في العام 492هـ في الكرخ في ناحية باب المنصور (م.ن، مج9، ص4262، 4269، 4271) هو من أحفاد الأكنم بن صيفيّ*، الحكيم العربيّ في العصر الجاهليّ (← عماد الدين الكاتب، مج1، قسم شعراء العراق، ج1، ص202)، لذلك سُمِّيَ أيضًا الصّيفيّ (← ابن نقطة، مج3، ص643)، وابن الصّيفيّ (ابن الصابونيّ، ص371؛ الديميري، مج1، ص186). علمًا أنّ هنالك من يشكّ بهذه النسبة (← ابن خلّكان، مج2، ص365؛ ابن حجر العسقلانيّ، مج4، ص35). المينويّ (مج1، ص161) استنادًا إلى ابن خلّكان قال: يبدو أنّ حَيْصَ بَيْصَ كان إيرانيًّا.

معنى حَيْصَ بَيْصَ لغةً مأزُقٌ، وضيقٌ وشدّةٌ لا مخرج منه، نحوًّا بناءً على المشهور، أنّهما اسمان جُعِلَا واحدًا وبُنِيَا على الفتح (← الجوهريّ؛ ابن منظور مادة "بيص" ومادة "حيص"؛ للاطلاع على الآراء الأخرى ← م.ن، صص.ن). وهذه الكلمة مستخدمة أيضًا في الأمثال العربيّة (← الميداني، مج1، ص224). ذُكِرَ أنّ سبب إطلاق هذا اللقب على الأمير سعد بن محمّد، أنّه استخدم هذه الكلمة في حديثه عن أحد الأشخاص، وأشار إليها في أحد أبياته، فاشتُهر بهذا اللقب (← ابن العديم، مج9، ص4269؛ ابن حجر العسقلانيّ، م.ن، ص.ن). وفي رأي البعض أنّه رأى الناس في شدّة وضيق فقال: "ما بال الناس في حَيْصَ بَيْصَ؟" فلَقَّبَ بهذا اللقب (← ابن خلّكان، م.ن، ص.ن، السبكيّ، مج7، ص91). بحسب ابن أبي أصيّعة (ص380)، أطلق ابن قَطّان*، الطبيب والشاعر الهجّاء، والخصم اللدود لحَيْصَ بَيْصَ هذا اللقب عليه.

منذ الثالثة عشرة اتجه حيص بيص لاكتساب العلم، ودرس علم النحو على الفصيحى النحويّ، المدرّس في المدرسة النظاميّة في بغداد (ابن الأثيري، ص375)، ياقوت الحمويّ، مج5، ص1924). انتقل بعد ذلك إلى الرّيّ ودرس الفقه والمسائل الخِلافية [اختلاف آراء الفقهاء] على محمّد بن عبد الكريم الوزّان، وتمرّس بمناظرة الفقهاء. كان أسعد الميّهنيّ أحد مدرّسي النظاميّة أستاذه الآخر في الفقه. أمّا أساتذته في الحديث فهم أبو طالب حسين الزينبيّ، وعلي بن طراد الزينبيّ، وأبو المجد محمّد بن جهور الواسطيّ (← ابن الدبيّثي، ص195، 196؛ ابن العديم، مج9، ص4262، 4269؛ ابن خلّكان، مج2، ص362). روى عنه كثيرون من المشهورين من بينهم شيخ الشيوخ ابن سُكينة وعبد الكريم السمعانيّ* (← ابن العديم، مج9، ص4262). ورد اسم حيص بيص أيضاً في سند بعض الروايات (← م.ن، مج9، ص4262-4263). فضلاً من هذا المقام العلميّ، أقبل حيص بيص على الشعر والأدب، فصار علماً في عصره (عماد الدين الكاتب، م.ن، ص.ن؛ ابن العديم، مج9، ص4269؛ ابن خلّكان، مج2، ص362-363).

المعلومات الأقدم عن حياة حيص بيص هي التي قدّمها السمعانيّ (← ياقوت الحمويّ، مج3، ص1352-1353) وعماد الدين الكاتب (م.ن، ص.ن)، اللذين درس كلّ منهما رسائل حيص بيص وأشعاره عنده. كان حيص بيص يمدح السلاطين والخلفاء والأمراء وكبار الشخصيات (على سبيل المثال ← مج1، ص95، 101، 267)، لكنّه لم يهجُ أحداً على الإطلاق (فروخ، مج3، ص369) وكان دائماً يراعي الدين والمروءة في ما ينظم (ابن العديم، مج9، ص4262). وقد صرّح في مقدّمة ديوانه (مج1، ص71)، أنّه لم يُشهره بأحد أو يُهنّ أحداً على الإطلاق. كان حيص بيص محترماً جداً، وقوراً، رفيع الخلق، يستخدم العربيّة الفصحى في حديثه. وكان يرتدي الملابس العربيّة، ويضع سيفاً في حزامه (عماد الدين الكاتب، م.ن، ص.ن، ابن العديم، مج9، ص4269؛ الذهبي، 1401-1409هـ/ 1989-1981م، مج21، ص62). استفاد الناس كثيراً من علمه وفضله، لأنّه كان أعلم معاصريه بالشعر واللهجات العربيّة (ابن الدبيّثي؛ ياقوت الحموي، م.ن، ص.ن). وقد امتدح علمه الغزير بالأدب واللغة والفقه وقدراته في فنّ المناظرة (← ابن الدبيّثي، ص195، الذهبي، 1405هـ/1985م، مج3، ص65). كان كما يقول السُّبكي (م.ن، ص.ن) وابن حَجَر العسقلانيّ (مج4، ص34) متفوّقاً في كلّ العلوم، وقد أشار هو نفسه أيضاً إلى هذا الأمر (← مج1، ص361، البيت14).

اشتهر ديوان حيص بيص منذ زمن بعيد، وقد أشار العديد من المصادر والمراجع إلى شهرته شاعرًا وإلى ديوانه (من بينهم ← الذهبي، 1405هـ، م.ن، ص.ن؛ ابن كثير، ج12، ص301). ابن الجوزي (مج 18، ص253) سمى حيص بيص الشاعر الناقد، والسمعاني ذكر فصاحة لهجته، وخطبة الجميل (← ابن العديم، مج9، ص4268). وقد أثنوا على حسن الابتداء وحسن التخلص في أشعاره (← عماد الدين الكاتب، مج1، م.ن، ص205؛ فروخ، م.ن، ص.ن)، ونقل البعض أيضًا الحسن من أشعاره (← ابن شاعر الكتيبي، مج1، ص372؛ ابن كثير، م.ن، ص.ن). الإخوانيات من الأبواب الجديرة بالاهتمام في شعره (على سبيل المثال ← حيص بيص، مج1، المقدمة نفسها، ص56-57). وقد دونت المصادر أشعاره التي نظمها على البديهة (على سبيل المثال ← ياقوت الحموي، مج3، ص1354-1355؛ ابن خلكان، مج6، ص236-237). وقد أورد المؤلفون شواهد من أشعار حيص بيص أمثلة على الآراء الأدبية (← ابن الأثير، مج2، ص170-171؛ ابن أبي الحديد، ص204) وبحث المجاز العقلي في علم البيان* (المرافي، ص357؛ عتيق، ص345). ملك النحاة أبو نزار كان يتمنى أن له بيتين من شعر حيص بيص بدلًا من شعره كله (← ياقوت الحموي، مج2، ص873؛ ابن العديم، مج9، ص4267).

معظم أشعار حيص بيص في المدح والفخر والمراثي، ولديه أيضًا شعر في الوصف والغزل والحكمة (فروخ، م.ن، ص.ن). عُدّ مضمون بيتين من شعر حيص بيص نقلها الدميري (ج1، ص187) عن المرض وعلاجه على أساس التجانس، هو نفسه طريقة المعالجة المثلية أو الطب التجانسي¹ الذي وضع حجره الأساس الطبيب الألماني صموئيل كريستين هاثمان² (المتوفى سنة 1843م/1258هـ (لمزيد من التفصيل ← د.أ.د. التركيبة، المادة نفسها؛ كفيثس³، ص604 وما بعدها).

جمع عماد الدين الكاتب منتخبات من أشعار حيص بيص للمرة الأولى بالترتيب الأببائي (← مج1، م.ن، ص206-350)، بعد ذلك نشر مكّي السيّد جاسم وشاكر هادي شكر أشعاره كلها في ثلاثة مجلدات في 1366-1394هـ / 1974-1575م في بغداد. كان نثر حيص بيص ممتازًا أيضًا، حتى عُدّ أشباهه قلّة (← ابن كثير، م.ن، ص.ن). بلاغة رسائله لافتة للانتباه (← ابن الديبشي، ص196؛ الذهبي، 1409-1401هـ/1981-1989م، مج21، ص62)، وقد أورد مقتطفات من تلك الكتابات

¹ Homeopathy

² S.C. Hahnemann

³ Gevitz

كلّ من عماد الدين الكاتب (مج1، م.ن، ص202-204-351-366)، ياقوت الحموي (مج3، ص1353-1354) وابن خلّكان (مج5، ص146). رُوِيَ في كتب السير عددٌ من الحكايات عن عداوة ابن قطن وكرهه لحيص بيص (على سبيل المثال ← ابن العديم، مج8، ص4270؛ ابن أبي أُصَيْبَةَ، ص380-387؛ ابن خلّكان، مج6، ص54-57). كان حيص بيص كثير الأسفار وذكرت المصادر سفره إلى كلّ من الشام وحب وواسط وإصفهان والحلّة (← ابن الديلمي، م.ن، ص.ن؛ ابن العديم، مج9، ص4262، 4269-4271؛ ابن حَجَر العسقلانيّ، مج4، ص34). وفي ديوانه إشارات إلى سفره إلى مراغة ومرو وسرخس وهمدان (← حيص بيص، مج1، ص228، 232، 267، 355).

عدّ البعض حيص بيص شافعياً (← ابن خلّكان، مج2، ص362؛ الذهبي، 1401-1409هـ/1981-1989م، م.ن، ص.ن)، لكنّ هنالك مستندات تاريخية تدلّ على تشييعه وهي : دفاعه عن أبي طالب عليه السلام، عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم، في مجلس الوزير يحيى بن هُبَيْرَةَ، زمن العباسيين (الموسوي، ص410-412)؛ نظمه أبياتاً في فضائل الإمام عليّ عليه السلام (← ابن شهر آشوب، مج2، ص95، 252)؛ الإشارة إلى حادثة غدِير خم وبعض كرامات أمير المؤمنين (حيص بيص، مج1، ص131، الأبيات48-55)؛ نظمه مقطوعةً يستتكر فيها مقتل العلويين وسفك دماء الأمويين (ياقوت الحموي، مج3، ص1355؛ ابن العديم، مج9، ص4266-4267؛ ابن خلّكان، مج2، ص364-365 وعدد كبير من المصادر الأخرى)؛ نظم أشعار في رثاء الإمام الحسين عليه السلام؛ والقسم باسم أهل البيت عليهم السلام (← ابن خلّكان، مج2، ص363؛ الأغا بزرك الطهراني، ص123). فضلاً عن التصريح بأنّ حيص بيص إماميّ (← ابن حَجَر العسقلانيّ، م.ن، ص.ن).

توفّي حيص بيص في الثانية والثمانين من عمره، وتتفق جميع المصادر على أنّ وفاته كانت في العام 574هـ. صُلِّيَ على جثمانه في المدرسة النظامية ودُفِنَ في باب التبن (← ابن كثير، م.ن، ص.ن)، في القسم الغربيّ من مقابر قريش (مدينة الكاظميين الحالية) (ابن العديم، مج9، ص4271؛ ابن خلّكان، مج2، ص365). معظم المصادر صرّحت أنّ حيص بيص لم يخلف ولداً (على سبيل المثال ← ابن الديلمي، ابن خلّكان، م.ن، ص.ن؛ ابن كثير، مج12، ص301-302)، لكن ابن العماد (مج4، ص247) ذكر ابناً وبناتاً لحيص بيص، وذكر لهما لقبين غريبين، هذان اللقبان وردا في المصادر الأخرى لأخيه وأخته (← ابن العديم، مج9، ص4270؛ ابن حَجَر العسقلانيّ، مج4، ص34). لابن الأنباري (المتوفّي

سنة 577هـ) كتابًا حول حيص بيص (السيوطي، مج2، ص87)، ليس في متناولنا، كذلك نوقشت رسالة ماجستير حول حيص بيص وأشعاره في العام 1407هـ/ 1987م في جامعة الموصل (← معجم العبايس، ص146).

المصادر والمراجع: محمد محسن آغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة: الثقات العيون في سادس القرون، ط. علي نقى منزوي، بيروت 1392هـ/1972م؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط. نزار رضا، بيروت [1384هـ/1965م]؛ ابن أبي الحديد، الفلك الدائر على المثل السائر، ط. أحمد حوفي وبدوي طبانه، الرياض 1404هـ/1984م؛ ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ط. أحمد حوفي وبدوي طبانه، الرياض 1403هـ - 1404هـ/1983-1984م؛ ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ط. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة [? 1386هـ/1967م]؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط. محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت 1412هـ/1992م؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ط. عبدالفتاح أبو غده، بيروت 1423هـ/2002م؛ ابن خلكان؛ ابن ديبثي، المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن ديبثي، اختصار محمد بن أحمد الذهبي، في أحمد بن علي خطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ط. صدقي جميل عطار، مج 15، بيروت 1424هـ/2004م؛ ابن شاکر كتبي، فوات الوفيات، ط. إحسان عباس، بيروت 1973هـ-1974م/1392-1393هـ؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ط. يوسف بقاعي، قم 1385ش [2006م]؛ ابن صابوني، تكملة إكمال الكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، ط. مصطفى جواد، [بغداد] 1377هـ/1957م؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ط. سهيل زكار، بيروت [? 1408هـ/1988م]؛ ابن العماد؛ ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، [القاهرة] 1351-1358هـ/1963-1970م؛ ابن منظور؛ ابن نقطة، تكملة الإكمال، ط. عبد القيوم عبد رب النبي، مكة 1408-1418هـ/1988-1998م إسماعيل بن حمزاد الجوهري، الصاحح: تاج اللغة وصحاح العربيّة، ط. أحمد عبد الغفور العطار، بيروت [لاتا.]، ط. أوفست طهران 1368ش [1989م]؛ حَيْصَ بَيْصَ، ديوان الأمير شهاب الدين أبي الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي البغدادي، المعروف بـ «حَيْصَ بَيْصَ»، ط. مكي السيد

جاسم وشاكر هادي شكر، [بغداد 1394-1395هـ / 1974-1975م]؛ محمد بن موسي
الدميري، حياة الحيوان الكبير، القاهرة 1390هـ/1970م، ط. أوفست قم 1364ش [1985
م]؛ محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط. شعيب أرناؤوط وآخرون، بيروت 1401
-1409هـ/1981-1988م؛ نفسه، العبر في خبر من غير، ط. محمد سعيد بن بسبوني
زغلول، بيروت 1405هـ/1985م؛ عبد الوهاب بن علي سبكي، طبقات الشافعية الكبرى،
ط. محمود محمد طناحي وعبد الفتاح محمد حلو، [القاهرة] 1383-1395هـ / 1964-
1976م]؛ عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط.
محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1384هـ/1995م؛ عبد العزيز عتيق، علم المعاني، البيان،
البدیع، بيروت: دار النهضة العربية، [لاتا.]؛ محمد بن محمد عماد الدين الكاتب، خريدة
القصر وجريدة العصر، ج 1، قسم شعراء العراق، جزء 1، ط. محمد بهجة أثري، [بغداد]
1375هـ / 1955م؛ عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج 3، بيروت 1409هـ/1989م؛
أحمد مصطفى مراغي، علوم البلاغة: البيان والمعاني والبدیع، القاهرة 1420هـ/2000م؛
معجم الشعراء العباسيين، إعداد عفيف عبد الرحمان، بيروت: دار صادر، 2000م/1420هـ؛
فخار بن معد الموسوي، إيمان أبي طالب، المعروف بكتاب «الحجة على الذاهب إلى تكفير
أبي طالب»، ط. محمد بحر العلوم، بيروت 1408هـ/1987م؛ أحمد بن محمد الميداني،
مجمع الأمثال، ط. محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت 1407هـ/1987م؛ مجتبي مینوی،
یادداشت‌های مینوی [مذكرات المینوی]، بجهود مهدي قریب ومحمد علي بهبودي، طهران
1375ش [1996م]؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ط. إحسان عباس، بيروت 1413هـ/
1993م؛

أجنبي..... /ياقر فرباني زرین/